

التوبة

للإمام المرتضى لدين الله

محمد بن الإمام الهادي يحيى

المتوفى سنة ٣١٠ هـ

جمال الشامي

١٤٣٩ هـ

النسخة الأولى

١٤٣٩هـ - ٢٠١٧م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله التواب الرحيم والصلاة والسلام على رسوله الأمين محمد
وعلى أهل بيته الطاهرين.

وبعد:

التوبة هي الندم على المعصية لكونها معصية والعزم على عدم العودة
إلى مثلها في كونها معصية، وهي الوسيلة الوحيدة في إسقاط العقاب المقرر
على العبد من الله تعالى، وهي واجبة عقلاً وسمعاً، فمن جهة العقل أن فيها
دفعاً للضرر العظيم، ودفع الضرر عن النفس واجب، ويرى أبو الحسين أن
العلم يوجب التوبة عن القبيح لقبحه معلوم ضرورة، وأما من جهة السمع
فمعلوم ضرورة من الدين وفي هذا الكتاب بيانه، ومع وضوح التوبة
وجلائها إلا أن النفوس الأمارة بالسوء حرفت معانيها من التقليل لشأنها
وعدم الفائدة منها في النجاة إلى التضييق في سعتها وحصرها في مرات
ثلاث، والرد على ذلك سبب تأليف الإمام المرتضى عليه السلام للكتاب
الصغير حجماً الكبير نفعاً وقد بين الإمام في مقدمته مصادر حججه في بيانها

من الكتاب والسنة والعقل، ويرى الإمام المرتضى أن العلة من قبول الله تعالى للتوبة ضعف النفس البشرية وانعدام العصمة فيها وأنه لولا التوبة لهلك جميع الخلق، وبين انحراف القول الذي عليه الغالب - وهو سبب تخلف المسلمين قديماً وحديثاً - من أن الاكتفاء بشهادة أن (لا إله إلا الله) كافٍ للنجاة مهما بلغت الذنوب، مع بيان شامل لقيمة وعظمة التوبة وضرورتها وأنها السبيل الوحيد للنجاة.

ويقع الكتاب ضمن مجموع فيه رسائل للإمام المهدي العياني والمرتضى والهادي وغيرهم، ومنه صورة في مؤسسة الإمام زيد علي بصنعاء وعليها الاعتماد في التحقيق، ولأهمية الكتاب ونشر التراث الإسلامي توجب عليّ نشره، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

٨ ربيع الأول ١٤٣٩ هـ.

٢٦ / ١١ / ٢٠٧ م.

التعريف بالمؤلف

هو: محمد بن الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين بن الإمام القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن الإمام إبراهيم بن الإمام الحسن بن الإمام الحسن بن الإمام علي بن أبي طالب عليهم السلام، المرتضى لدين الله، أبو القاسم^(١).

أمه: فاطمة بنت الحسن بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب^(٢).

مولده: ولد سنة ٢٧٨هـ^(٣) كما هو مذكور في الكتب مع أن مولده حقيقة كان قبل ذلك العام بكثير لعله ٢٦٨هـ فأقل؛ لأنه قدم مع أبيه إلى

(١) الإفادة في تاريخ أئمة الزيدية ص ١٣٣، الأعلام ج ٧ ص ١٣٥.

(٢) الشجرة المباركة ص ٢٥.

(٣) الإفادة في تاريخ أئمة الزيدية ص ١٣٣، لباب الأنساب والألقاب والأعقاب ص ٣٣١، الشجرة المباركة في أنساب الطالبية ص ٢٥.

اليمن سنة ٢٨٤هـ على هذا المولد يكون عمره ست سنوات! وقد شارك في الجهاد وتعرض للأسر وكيف يعقل ذلك من طفل صغير غير مكلف بذلك، ونشأ على طريقة آباءه في التقوى واليقين والتحلي بآداب الأئمة الهادين.

آثاره الفكرية: خلف تراثاً جليلاً كلامياً وفقهياً وحديثاً على منوال أبيه في أصالة الحجج والبيان ومن ذلك: كتاب الأصول في التوحيد والعدل، وكتاب الإيضاح في الفقه، كتاب النوازل جزآن، وجواب مسائل المغفلي، وجواب مسائل مهدي، وكتاب النبوة، وكتاب الإرادة، وكتاب المشيئة، وكتاب التوبة، وكتاب الرد على الروافض، وكتاب في فضائل سيد الوصيين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه، وكتاب الرد على القرامطة، وكتاب الشرح والبيان ثلاثة أجزاء^(١)، وكتاب الرضاع، وكتاب مسائل القُدَميين، وكتاب مسائل الجابريين^(٢)، وكتاب تفسير القرآن تسعة أجزاء، وكتاب مسائل الطبريين خمسة أجزاء، وكتاب مسائل مهدي أربعة

(١) تم نشر بعضه بحمد الله.

(٢) التحف شرح الزلف ص ١٩٠.

أجزاء، وكتاب مسائل ابن الناصر، وكتاب مسائل البيوع ثلاثة أجزاء،
وكتاب مسائل عبدالله بن سليمان، وجواب ابن فضل القرمطي، وفصل
المرتضى، وكتاب النهي^(١).

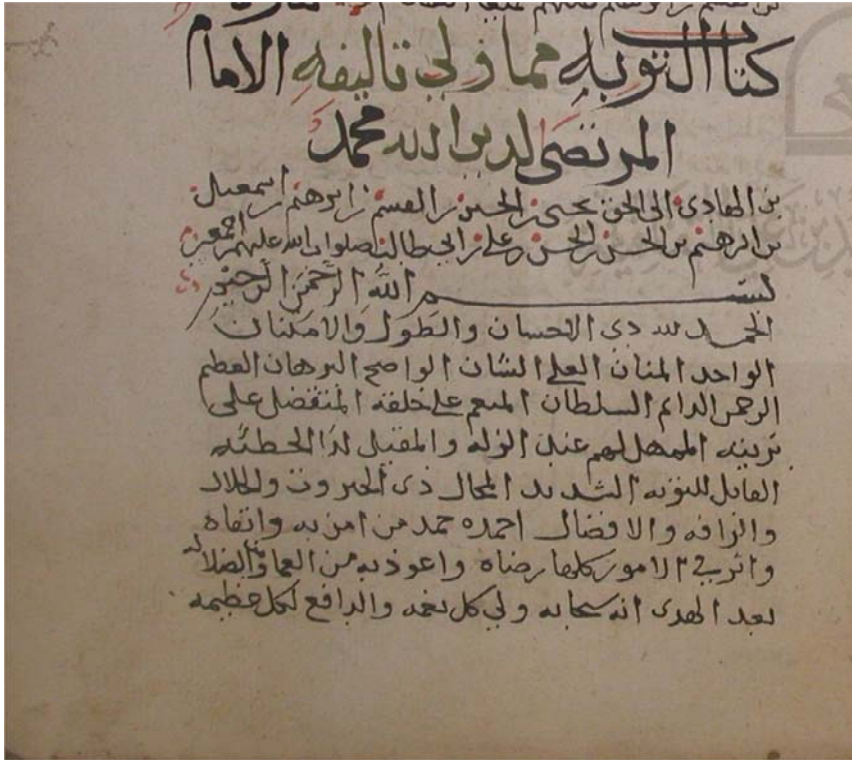
وفاته : توفي الإمام المرتضى لدين الله سنة ٣١٠هـ بصعدة حرسها

الله، وله اثنتان وثلاثون سنة كما قيل، ودفن إلى جنب أبيه عليه السلام^(٢).

(١) تم نشره بحمد الله بعنوان (من التراث السياسي الزيدي).

(٢) الإفادة ص ١٧٠.

نموذج من المخطوط



نص الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ذي الإحسان، والطول والامتنان، الواحد المنان، العلي
الشأن، الواضح البرهان، العظيم الرحمن، الدائم السلطان، المنعم على
خلقه، المتفضل على بريته، الممهل لهم عند الزلة، والمقيل لذا الخطيئة، القابل
للتوبة، الشديد المحال، ذي الجبروت والجلال، والرأفة والإفضال، أحمد
حمد من آمن به وأتقاه، وآثر في الأمور كلها رضاه، وأعوذ به من العمى
والضلالة بعد الهدى إنه سبحانه ولي كل نعمة والدافع لكل عزيمة، من
يهدي الله فقد سلم ونجا، والعاقبة في الآخرة لمن آمن وأتقى.

وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، ليس له حد يدرك ولا ينال،
ولا شبه يضرب له به الأمثال، أحداً فرداً صمداً لم يلد فيكون ولده له مثلاً،
ولم يولد فيكون والده له أصلاً، عز عن ذلك ربنا وتعالى علواً كبيراً، ﴿لَمْ يَلِدْ
وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ٤]، رفع السموات بغير
عمد ولا كلفة ولا احتيال ولا عدة، بل جعل فيها أفلاكاً مقدره ونجوماً
جارية، زينة للناظرين، وحجة بالغة للمتوسمين، ثم دحا الأرض بساطاً
لخلقه وقراراً لعباده، تسلك فيها الأنهار، وأنبت فيها الأشجار، وأغدق

بفضله عليها الأمطار، ورفع بقدرته الأقطار، وجعل الليل والنهار نعمة ومعاشاً، وسكينة ولباساً؛ إكمالاً في الحجة، وإسباغاً في النعمة، وإظهاراً منه عز وجل للقدرة؛ ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: ٤٢].

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق؛ ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٣]، فبلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، ثم قبضه الله إليه محموداً مفقوداً، فعليه أفضل الصلاة والترحم من ربنا الواحد الكريم وعلى أهل بيته الطيبين.

وبعد: - أتم الله نعمتك وأعانك وسددك وثبت لمنهج الحق مسلكك -، فقد فهمت ما سألت عنه من التوبة، وما قصدت له من شرحها وتفسيرها لما وقع عندكم من الالتباس، وموجان من قبلكم من الناس، وكثرة أقوالهم في التوبة واختلافهم في المقالة، حتى خلطوا في ذلك عليك، وأوقعوا الشك في قلبك فقالوا: لا توبة بعد ثلاث مرات، وأن قد باء المذنب بالسخط والنيران، ولو أخلص ورجع ورفض ما كان فيه وأقلع، فالله المستعان على ما نصف من هذا الاختلاف وما هم عليه في ذلك من قلة الائتلاف.

[دواعي التأليف ومصادره]:

وأيم الله ما الأمر بمشكل فيقول فيه القائل بالشك والارتياب أو بأمر خطأ غير واضح ولا صواب، فرأيت - استمتع الله لك بالنعماء وأرغب إليه ولك بالعون والهدى - أن أضع عند ورود كتابك فيما سألت عنه كتاباً لك ولغيرك من المسلمين ومن أراد التوبة من جميع المخلوقين، أشرح فيه التوبة وحدودها، وما يسلم به عند الله سبحانه القاصد لها، وعلى كم هي من باب، وما يجب فيها من جميع الأسباب، وما يلزم العبد عند التوبة، وما يخلص منه وما لا يخلص عند الله إلا به، وأبين لك بعون الله من:

- كتابه الناطق الذي ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢]، فهو شفاء لما في الصدور، ومبين لما التبس من الأمور، نور في الظلمات ودليل في المدهمات، بعيد من التقصير فيه بيان ما طلب من قليل أو كثير، يبين الحلال والحرام وما افترض سبحانه على جميع الأنام، فلا يضل أبداً من تعلق به، ولا يتحير من قصده.

- وأشرح ذلك بعون الله أيضاً فيما جاء من الخبر فيها عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم من حجة العقول التي ركبها الله في خلقه

وجعلها دليلاً على وحدانيته، فإذا نطق أو شهد ما قلنا على شيء فهو الحق الذي لا شك فيه ولا امتراء ولا حيرة بلعل وعسى، وحسبنا الله وكفى.

[ما قيل من شبهة عن التوبة والعلة في قبول التوبة]:

فما ما ذهب إليه من قلَّ علمه وفتر ذهنه في التوبة لا تقبل من بعد ثلاث مرات، وإنما ذلك خطأ من قائله وضيق علم من المفتي به؛ لأن الله سبحانه قال بخلاف ذلك ودل عليه وبينه في كتابه وأوضحه لجميع خلقه بطولاً منه واحساناً وتفضلاً عليهم وامتناناً، فضمن سبحانه الإقالة ودل على التوبة؛ لما علم من ضعف بليتهم، ووهن عزائمهم، وكثرة غفلاتهم، ودائم سهواتهم، فآمن عليهم بالإقالة، وجعل لهم السبيل إلى التوبة، وموثلاً إلى الرجعة، نعمة منه سبحانه عظمت وأياد ومنناً جلّت، فقال عز وجل في قبول التوبة وغفران الخطيئة: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٥٣) وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ [الزمر: ٥٤]، فآمن عليهم سبحانه بالتوبة، وبسط لهم في المدة إلى حضور المنية وانقطاع المهلة، ولو كان من تاب ثلاث مرات لم يقبل الله سبحانه توبته حتى يصير إلى قبره ويواريه ثرى رمسه ما قال عز وجل:

﴿أَوَلَمْ نَعْمَرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ﴾ [فاطر: ٣٧]، فاحتج عليهم سبحانه بأعمارهم وجعلها مدة لتوبتهم وضمن لهم الغفران في حياتهم، ولو كان من تاب ثلاث مرات لم تقبل توبته ثم تاب رجل وهو ابن ثمانية عشر سنة ثلاث توبات في سنة واحدة ثم عمر مائة سنة لم يكن ذلك العمر ليشفعه ولا يجب لله على خلقه حجة؛ إذ كانت التوبة قد رفعت وأبواب أعمال البر قد تغلقت، ولو كان ذلك كذلك ما قال سبحانه: ﴿أَوَلَمْ نَعْمَرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ﴾ [فاطر: ٣٧]، فدل سبحانه على أن التذكرة في العمر كله فجعله حجة على طاعته، ونعمة على الموهوب له، ولم يقل أن التوبة في بعضه دون كله، فكان أول من عصى من الناس ووقع عليه الغلط والنسيان آدم صلوات عليه قال عز وجل: ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى (١٢١) ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى﴾ [طه: ١٢١]، ثم قال تبارك وتعالى: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ٣٧]، فذكر سبحانه أنه قبل توبته وغفر خطيئته والكلمات التي تلقاها آدم عليه السلام فهن كلمات التوبة والاستغفار^(١)، ثم قال عز

(١) قال الإمام الناصر الأطروش عليه السلام: «فإن الله أعلم جميع عبادته أنه يغفر لمن تاب فقال: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾ [طه: ٨٢] فتلقى آدم ذلك عن ربه فتاب واستغفر وأناب، ويقال: إن استغفاره كان قوله: (سبحان الله

وجل في الذين يعصونه ﴿يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ [البقرة: ١٥٩]، فأعلمنا سبحانه بلعنته إياهم ولعنة الملائكة والمؤمنين لهم وحكم عليهم بالعذاب في فعلهم وما تأولوه في تحريفهم وكتماهم لنا أنزل في كتابه إليهم، ثم قال عز وجل: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنَّا فَاُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٠]، فقبل توبتهم من بعد أن لعنهم وصفح عنهم من بعد أن أوجب عليهم العقوبة، ثم قال عز وجل في التوبة والأوبة: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، فذكر سبحانه أنه يحبهم وإذا أحب عز وجل مطيعاً من خلقه صيره إلى ثوابه وحكم بالرحمة له والقبول لسعيه، فهذا كتاب ينطق بقبول التوبة ويدل عليها وندب الخلق إليها ويوجب الرحمة والغفران بها.

وأستغفر الله ولا إله إلا الله والله أكبر)، ويقال: إنه قال: (رب إني عملت سوءاً وظلمت نفسي فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت)، ويقال: إن قوله: ﴿قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣]، وكل ذلك فحسن والله أعلم بحقيقة قوله «البساط».

فأما ما احتجوا به عليك من قول الله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ أزدَادُوا كُفْرًا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيُغْفِرْ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا﴾ [النساء: ١٣٧]، فليس هذا لهم بحجة ولا فيه لقائل علقه؛ لأن الله سبحانه إنما ذكر عنهم أنهم آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا بالله واناوبوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفراً وعلى الباطل تمادياً وعن الله بعداً ولأمره عناداً ولم يذكر عنهم سبحانه توبة ولا ندماً ولا تركاً لما كانوا عليه ولا رجوعاً بل الزموا انفسهم الكفر والردة وتمسكوا بالباطل والبدعة، وإذا كانوا كذلك فالمغفرة منهم بعيدة والهداية من الله سبحانه عنهم نائية وإنما يهدي الله المتقين ويعين عباده الصالحين كما قال عز وجل، وليس من عند وتعدا بمستوجب من الله توفيقاً ولا رشدًا، ولو رجعوا الثالثة وتابوا لسأهم الله مؤمنين كما سألهم عند كفرهم الأول ورجعتهم مؤمنين فدعاهم بالتوبة من بعد المعصية مؤمنين ولم يثبت عليهم في معصيتهم أولاً اسم الكفر حتى اناوبوا وصاروا من التائبين ولعظيم ما اجترموا من التاركين بل قال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا﴾ [النساء: ١٣٧]، فذكرهم أولاً بكفرهم ثم ذكرهم ثانية بإيمان ولو آمنوا بالله الثالثة لكانوا في حكمه سبحانه مؤمنين ولديه من الناجين ولا سم الإيمان مستوجبين، ولكن قال عز وجل: ﴿ثُمَّ أزدَادُوا كُفْرًا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيُغْفِرْ

هُمُ﴾ [النساء: ١٣٧] وكيف يغفر لهم وهم مزدادون في الكفر متمادون فيه غير راجعين عنه ولا تاركين له! أولئك الذين زين على قلوبهم وأحاط بهم سوء أعمالهم وهذه الآية خاصة لأولئك الذين كفروا في عهد رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وعامة لمن بعدهم ممن كانت حالهم كحالهم.

[لا مغفرة بدون توبة]:

فقد زعم بعض الجهال وأهل الغفلة في المقال أنه من قال: (لا إله إلا الله) وارتكب المعاصي غفر الله له^(١)، وهذا زور منهم واختراع باطل من كلامهم أكذبهم الله فيه وذمهم سبحانه عليه، ولم يكن عز وجل ليغفر لمن اعتكف على معصيته ولقيه مصراً على ذنبه، ألا تسمع كيف يقول عز وجل لبعض من كان مع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ولأهل الكتاب إذ كانوا يقولون: إن الله يغفر لنا المعاصي ولا يؤاخذنا بما نخترع من سبها؛ إذ كنا مقرين به! فقال: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [النساء: ١٢٣].

(١) روى البخاري أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «ليبلغ الحاضر منكم الغائب، ومن مات يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، فقد وجبت له الجنة» خلق أفعال العباد ص ٩١.

فأما - يرحمك الله - من تاب ورجع وأناب إلى الله وأقلع ولم يصر على المعصية ولم يلق الله سبحانه بالخطيئة، فإن الله عز وجل يقبل توبته ويغفر ما سلف من ذنوبه؛ لأن قوله الحق ووعد الصدق، لا خلف يلحقه، ولا فساد يدخله، ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء: ١٢٢]؛ إذ يقول جل جلاله وتقدست أسماؤه في التوبة وقبولها وما من الله سبحانه على ولد آدم فيها: ﴿وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأعراف: ١٥٣]، ويقول عز وجل: ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأنعام: ٥٤]، ومعنى ﴿كَتَبَ﴾ فهو حكم، أفيجوز لمؤمن أن يقول لما حكم الله به أنه لا يكون؟! ومن قال بذلك فهو من الآثمين وعند الله من الهالكين.

ثم قال الله سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ [آل عمران: ٩]، وقد وعد التوبة وحكم بها على نفسه ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٨٧]، أولاً تسمع ما كان من خبر أصحاب موسى صلى الله عليه الذين فرق بهم البحر وتابوا على يديه من السحر، ثم عصوا الله

باتخاذهم العجل، ثم تاب عليهم، ثم أخذتهم الصاعقة في معصيتهم الثالثة حين سألوهم أن يريهم ربهم الله جهرة، ثم تابوا جميعاً، ثم بعثهم الله جميعاً من بعد موتهم كما قال عز وجل: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ٥٦]، فكانت هذه توبة ثالثة، فالأولى من السحر فتاب عليهم وصفح عنهم، والثانية من بعد اتخاذهم العجل وارتكابهم أقيبح معصية وأشد فعل فقبل توبتهم وعفى عن زلتهم، والثالثة من محال مسألتهم وما كان من عظم جرأتهم فردهم الله بعد الفناء وخروجهم من الدنيا، وأقال وعفى عمن ظلم وأساء.

ولو اصرروا على المعصية ما كان لهم لديه سبحانه سلامة كما أصر أصحاب القرية الحاضرة للبحر على أخذ الحيتان وأبوا أن يقلعوا عنها ولا تغيروا على الأخذ لها فمسخوا؛ لما أن عصوا وعن الله صدوا، ألا تسمع كيف يقول في كتابه يدل على التوبة ويندب إليها ويأمر العباد بها ويخبر عمن أهلكه بمعصيته حين طغى وآثر الحياة الدنيا: ﴿فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٤٣]، فدل سبحانه على أنهم لو تضرعوا إليه عما كانوا من المخالفة فيه وعليه وتابوا من خطيئتهم واستغفروه من زلتهم لوجدوه

تواباً رحيمًا، ولكن قست قلوبهم ولخوا في طغيانهم وثبتوا على معصيتهم، ثم قال سبحانه في قوم يونس ﴿لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [يونس: ٩٨]، فذكر عز وجل أنهم لما آمنوا كشف عنهم العذاب، ولم يكن من الأمم أولاً من يؤمن إذ جاءه العذاب بل كانوا يزدادون عمًا وضلالاً إذا عاينوا العذاب مقبلاً ولهم مضلاً، ولو فعلوا كفعل قوم يونس لرفع عنهم العذاب ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان أعمالهم.

وفي التوبة: ما يقول الله سبحانه: ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرُّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٨٦) أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (٨٧) خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ (٨٨) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٨٩]، فوصفهم عز وجل في أول الآية بما سمعت وأوجب عليهم من بعد العذاب ما فهمت، ثم قال: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٨٩]، فأوجب لهم سبحانه الصفح والرحمة عند التوبة والرجعة، ثم قال تبارك وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا

أَنْفُسَهُمْ ذَكِّرُوا اللَّهَ فَأَسْتَغْفِرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ [آل عمران: ١٣٥]، فبين سبحانه في التوبة وبسط فيها من الرحمة ما جل وكبر وعظم وعوز، ولولا ذلك لهلك جميع الخلق وعطبوا ولبأءوا بالسخط من الله وما سلموا، فالحمد لله المنعم بفضله، المحسن إلى جميع خلقه، الرؤوف بهم، المتفضل عليهم، القابل لتوبتهم كلهم تيسرا ولم يحمل عليهم شططا ولا عسرا.

وفي ذلك ما يقول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب في بعض مواعظه: «لا يمنعكم ما تعرفون من كثرة الذنوب وثقل الأوزار من الرجاء لخالقكم، وحسن الظن بملككم، والاستغفار لسيدكم؛ فإنه جواد كريم، ولوا استغفروا الله ﴿وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوْجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ [النساء: ٦٤]، فقد زاح الشك عن أهل المعرفة والألباب بأقل قليل مما يسمعون مما أنزل الله في كتابه المبين الحق الواضح المستبين، فيه بيان كل شيء ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢]، ثم قال الله عز وجل: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٤]، فحكم عليهم سبحانه بالقتل والهوان من قبل التوبة والإيمان، وأوجب لهم التوبة

والرضوان عند الرجعة والإحسان والندم والاستغفار، وترك المعصية والاصرار، ثم قال: ﴿فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٩]، ثم قال سبحانه: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَهُمْ نَصِيرًا (١٤٥) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١٤٦]، فجعل سبحانه التائبين من المؤمنين وقربهم وأثابهم كثوابهم واشركهم فيما أعد لهم فكل هذا تحريض من الله عز وجل لعباده على التوبة وأمرهم بالعودة من الذنب والخطيئة وطريق إلى الرجعة، وتعريف منه سبحانه بما يرضيه ويقربهم من بعد خطيئتهم إليه، ومن هذه التوبة والندامة والرجعة والاستقالة فجعل سبحانه ذلك من فعلهم ماحياً لسيئاتهم ومذهباً لغضبه عليهم.

وفي ذلك ما يروى عن بن مسعود عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: وعظنا رسول الله موعظة وجلت منها القلوب وذرفت منها الأحشاء، فلما أراد صلى الله عليه وعلى آله وسلم النزول عن المنبر اسند إليه رجلاً من الأنصار كلاً يقول: بأبي وأمي ونفسي أنت يا رسول الله من يقوم بهذه الشدائد وكيف بالعيش بعد اليوم؟ فقال رسول الله صلى الله عليه

وعلى آله وسلم: ((إني نازلت ربي في أمّتي، فقال: يا محمد إن باب التوبة مفتوح، إنه من تاب قبل موته بسنة تاب الله عليه، ثم قال: من تاب قبل موته بشهر تاب الله عليه، ثم قال: من تاب قبل موته بجمعة تاب الله عليه، ثم قال: من تاب قبل موته بيوم تاب الله عليه^(١)، ثم قال: من تعلم العلم وتواضع في علمه وعلمه عباد الله وهو يريد ما عند الله لم يكن منزل ولا دار ولا درجة نفيسة رفيعة إلا كان له فيها أوفر النصيب وأفضل المنازل، ألا وإن العالم من يعمل بعلمه وإن كان قليل العلم))^(٢).

وقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم لأبي ذر: ((يا أبا ذر حقوق الله جل ثناؤه أعظم من أن يقوم بها العباد، ولكن امسوا تائبين، واصبحوا تائبين))^(٣).

وقال سبحانه في التوبة: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذَيِّبَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٢٦) وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا (٢٧) يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ

(١) المستدرک علی الصحیحین للحاکم ج ٤ ص ٢٨٧.

(٢) لم أجد له ذكر فيما لدي.

(٣) مقطوع على طلق بن حبيب. الزهد لابن المبارك ص ١٠١.

عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٨]، فكفى بما تسمع يقيناً وللشك مذهباً؛ إذ هو بيان واضح للمؤمنين وشفاء لمن صدقه من المتقين، ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ١٠٨].

ثم قال عز وجل يعتب على أهل الجهل والغفلة ويأمرهم بالتوبة والانابة: ﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذْكُرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٦]، فذمهم في الغفلة ونبههم على التوبة، ثم قال عز وجل: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الرعد: ٦] فقال على ظلمهم وإنما أراد من بعد ظلمهم فقامت على مقام بعد وهما حرفان من حروف الصفات التي تعقب، ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾ [البروج: ١٠]، فقال ﴿ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا﴾ فأوجب سبحانه أنهم لو رجعوا وتابوا قبل منهم، ولكن اصرروا واستعصوا ومالوا عن الحق فهلكوا أولئك مأواهم ﴿جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾.

وفي التوبة: ما يقول الله عز وجل: ﴿حم (١) تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (٢) غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ [غافر: ٣].

ويقول سبحانه: ﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ
الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الحجرات: ١١]، فحرم عليهم
الألقاب وأوجب عليهم بظلمهم الخزي والعقاب إلا من تاب ورجع
وأتاب، ثم قال عز وجل: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ
اهْتَدَى﴾ [طه: ٨٢]، وقال: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ
تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١]، فكل ذلك من الله عز وجل أمرهم بالتوبة ودلالة
عليها وتفهم الفضل الذي جعله الله سبحانه فيها فندبهم إلى التوبة ودلهم
على الرجعة ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦]، فسبحان مسبغ النعم
أهل الفضل والكرم، مقيل العثرات، المتجاوز عن السيئات، الغني عن
طاعة خلقه، المتعالي عن ظلم عباده، صادق الوعد والوعد، الواحد
الحميد.

وفي التوبة: ما يروى عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه:

«أتى برجل يقال له تيهان^(١) فأرسله، فرجع إلى الشرك، ثم أتى به الثانية
فأرسله فرجع إلى الشرك، فقال: ((اللهم أمكني منه تيهان مكتوفاً أو

(١) (نيهان) في المعجم الأوسط للطبراني، وموطأ ابن وهب، والاصابة في تمييز
الصحابه لابن حجر.

مشدوداً في عنقه حبل ابرق))، فبعث رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم سرية فظهروا على العدو فأخذ تيهان، فقال رجل: لا تقتلوه هذا تيهان الذي دعا النبي صلى الله عليه وآله أن يمكنه الله منه مكتوفاً أو في عنقه حبل ابرق، فأتي به إلى النبي صلى الله عليه وآله مكتوفاً كما قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم وفي عنقه حبل ابرق، فقال: ((الحمد لله الذي أخزأك يا تيهان))، ثم اخترط سيفه، فقالت امرأة من خيمتها لا يقتلوه بباب خيمتنا [١]، فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: ((انطلقا به أوماً إلى الذي عن يمينه فوجأه في صدره، وأوماً إلى الذي عن يساره فوجأه في صدره))، فقال النبي صلى الله عليه وآله: ((ما قال؟)) قالوا: لا شيء يا رسول الله دع هذا الكلب. قال: ((على ذلك لتخبراني ما قال)). قالوا: قال ما يبغي مني وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: ((أقأها، أطلقا كتابه والحبل الذي في رقبته)). ثم عمد سيفه (٢) وقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: ((أمرت أن أقاتلهم

(١) كلمة غير واضحة.

(٢) عن أنس بن مالك قال: «ارتد نيهان ثلاث مرات، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اللهم أمكني من نيهان في عنقه حبل أسود»، فالتفت فإذا هو بنيهان قد أخذ، وجعلوا في عنقه حبلاً أسود، فأتوا به النبي صلى الله عليه وسلم، فأخذ رسول الله صلى

حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فإذا قالوها أحرزوا دماءهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله))^(١)، قال محمد بن يحيى صلوات الله عليه: ذلك لأهل الشرك والعنود والانكار لله سبحانه والجهود، فإذا قالوا: نشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، حقنوا دماءهم ومنعوا أموالهم ولزمهم بعد ذلك من إقامة الشريعة، وما أوجب سبحانه على جميع البرية، من حكم الكتاب والسنة الذي لا يصح لهم إيمان إلا به، ولا يسعهم عند الله غيره،

الله عليه وسلم السيف بيمينه، والحبل بشماله ليقتله، فقال رجل من الأنصار: يا رسول الله، لو أمتطت عنك قال: فدفعت السيف إلى رجل، فقال: «أذهب فاضرب عنقه» قال: فانطلق به، فضحك نبهان، وقال: أيقتلون رجلاً يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله؟ فخلى عنه، المعجم الأوسط للطبراني ج ٧ ص ٣٢٦.

عن ابن شهاب قال: «أتى رسول الله عليه السلام بنبهان أسيراً فأسلم، فخلى سبيله فكفر، ثم أتى به فأسلم، ثم كفر، أربعاً أو خمساً، ثم قال: اللهم أمكني من نبهان في جبل أبرق، فتغير جبل رسول الله عليه السلام، فأتوا به في جبل أبرق، فقال رسول الله عليه السلام: اضربوا عنقه، فلما ولي قال: ما يريد مني ابن عبد المطلب، فأنا أشهد ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، قال النبي عليه السلام: ما يقول؟ فأخبروه بقوله، فخلى سبيله» المحاربة من موطأ ابن وهب خ.

(١) في مصنف عبدالرزاق الصنعاني ((أمرت أن أقاتلهم حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فإذا قالوها أحرزوا دماءهم وأموالهم، إلا بحقها وحسابهم على الله)) ج ١٠ ص ٣٢٤.

فإذا فعلوا ذلك فلهم ما للمسلمين وعليهم ما على جميع المؤمنين من حكم محكوم.

وعن بعض الحكماء: إن من علامة التائب ومما يجب أن يفعله في حال توبته ورجوعه عن سوء فعله وانابته إلى ربه أن يحل العقد القبيح من قلبه، ويحل القلب الندم، ويترك صحبة خدن السوء، وعليه بالتأسف على ما فات، ومبادرة الأوقات، وأداء المظلمة وحقيقة اللجأ ومذلة الافتقار إلى الله، وبذل حقائق الاجتهاد، ومسح رأس اليتيم، وعيادة المرضى، واتباع كل فعل جميل، وصحبة أهل الخير، واعتقاد موت النفس، والاعتذار عن كل ما مضى، والغم الغالب والحزن الدائم، ورفض التسويف، وتعظيم أمر الله عز وجل، ودغرة القلب من عوارض ذكر الدنيا، وشدة الزفير عند معارضة الهوى، وطهارة القلب من كل دني من الأخلاق، والحياء من نظره، والحذر من عمله، وخوف هجوم الموت، وخوف وعيد الله، والرجاء لوعده، وانقباض الجوارح، وغل اليد عن كل ما ليس لها بحق، ولزوم الصيام، ودوام السهر، والتواضع لأهل العلم، وقصد القلب بالعمل لله لا يريد به سواه، ونفي القدر والجاه عن الخلق، وترك صحبة التعظيم، وهجران كل ما لا يجب أن يقيم عليه، وأن يحجم النفس نعيم الدنيا، والاستقصاء على

النفس ونفي العوارض، واستحقار حمل الضر والمصائب في الدنيا مع سلامة الدين، ونفي الشك والارتياب، وانصات القلب وصغاء التمييز، وخلوص النية، وترك الركون إلى الظالمين، والمعاونة للفاسقين، فعند ذلك تكون له الطاعات إلفاً ويأس منه خواطر دواعي الهوى وينتقل إلى حذره ورفض التأويل عند شدائد الفاقات، ويكون من حزب الله وأوليائه.

واعلم أن عند ظفر النفس بما تهوى يتبين للعبد أمره وهل يظهر ما لله عنده من العهد و[الوديعة]^(١) وهجران الهوى على الحقيقة من توحيد الله وصحة طلب العبد له.

واعلم أن المراقبة لله عز وجل تبلغ العبد شرف الدنيا والآخرة، وهي الطاعة وأجرها، ولو أن العبد عبد الله جل ذكره بكل عبادته ولم يعمل بها لم يزد من الله إلا بعداً.

والزم قلبك المراقبة لله سبحانه، واجعل راحتك في كل حالاتك إليها؛ فإنها أصل القربة إلى الله، وحماً عن محارم الله عز وجل، ومعينة على طاعة الله عز وجل، وليكن دوام عمل قلبك أن الله عز وجل يعلم الخطرة والوسوسة

(١) مكتوب: الديعة.

وما فوق ذلك وما دونه وما من حركة ولا سكون ولا شيء يحل بكل ظاهراً
ولا باطناً إلا والله به عالم، وبجميع ما نحن عليه من شراسيف مكنون
ضمير قلبك من الخطرات والعزم والهمة، وتلزم قلبك أنه لا يغفل عنك،
وعليك ببذل المجهود فإنك إذا فعلت ذلك هديت إلى سبيل النجاة،
وعرفت خفي ضررك ونفعك، فتدخل في حصن حصين، تحصن به من
النقص والتقصير، وكن مفتقراً إلى الله جل وعز في كل حالاتك، مستقصياً
له في المراقبة على نفسك، ولا تكن في قولك وفعلك لأحد غير الله نصيب،
وليكن عزمك طلب الاخلاص لله عز وجل في جميع أحوالك؛ فإنك إذا
فعلت ذلك كنت من أولياء الله وأصفياؤه الذين له يعملون وله يعطون ومنه
يطلبون وعليه في حالاتهم يتوكلون.

واعلم أن العبد إذا حفظ نظره سهل عليه حفظ جميع جوارحه، وفي
النفس فنول الشهوات لا يمنعها عن ذلك إلا خوف الله والمراقبة له، ومن
راقب الله غني وهدي وتحصن من الآفات، وإن المراقبين لله ينادون القوة في
عزمهم والنصيحة في أمرهم، والتصحيح في عملهم، والثقة في قلوبهم، ولا
يتم عمل إلا بالمراقبة لله عز وجل في كتابه على لسان رسوله محمد صلى الله
عليه وعلى آله وسلم ﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدٌ﴾ [إبراهيم: ١٤]،

فمن خاف مقام الله وخاف وعيد الله ورجاء وعد الله فأجله أن يراه حيث نهاه، ولو أن رجلاً هم أن يأوي إلى ما نهاه عنه ثم رأى صبيّاً لترك ذلك خوف أن يفضحه عند الناس، ومن صدق بثواب الله وعقابه ترك ذلك من أجله.

فعليك بالمراقبة لله، والعمل بطاعته، والإجلال لمقامه، والحياء منه، والحذر من سخطه، والايثار لأمره، والمنافسة في مرضاته، والصحبة لأوليائه، والمجانبة لأعدائه، والمولاة لأهل طاعته، والمباينة لأهل معصيته، والمعونة لكل بر تقي، وترك الركون إلى كل إثم معتدي.

واعلم أن الدنيا فانية عن قليل، وأن العمر فيها ينقضي حيناً بعد حين، وإياك والتواني والتسويق، والأمل والاعتذار، والتأسي بأهل الخسار، فكأنك بالموت قد هجم على مهجتك فأذهلك عن توبتك، وأرهقك منهل أوبتك، فلم تغن عنك الندامة، ولم تنفعك الملامة، وصرت رهين الافتراق، صريع الاغتراق، قد فاجأك الأجل، وانقطع عنك العمل، وزال منك الأمل، وجاءتك المنية بانقطاع الأمنية، فبادر الأوقات قبل فوات الساعات، وامنع الهزل بالجد، وادفع التواني بالعناية، واقبل وصية كل حكيم، وكن

من المستيقظين ولا تكن من الغافلين، قد أزف الأمر، وليس في الدنيا فصل،
تم والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وعلى آله الأكرمين وسلم.

الفهرس

المقدمة.....	١
التعريف بالمؤلف.....	٣
نموذج من المخطوط.....	٦
نص الكتاب.....	٧
دواعي التأليف ومصادره.....	١٠
ما قيل من شبهة عن التوبة وعلة قبول التوبة.....	١١
لا مغفرة بدون توبة.....	١٥
الفهرس.....	٣١